و للروح ارتواء

تفريغ محاضرة

ربِّ اغفر لي و هب لي

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١١-١٠-١٤٤٤ هـ

"ربِّ اغفر لي و هب لي "

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه و نستهديه، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدًا عبده و رسوله.

كل عام وأنتم بخير، وتقبل الله منّا و منكم صالح الأعمال، وجعلنا الله جميعًا من العتقاء من النار ومن المقبولين يا رب العالمين، الحقيقة جاء بخاطري أن يكون هذا اللقاء لقاءًا وديًّا، وأسمع منكم أكثر مما تسمعون منّي، و كان بخاطري أن أسمع عن تجاربكم في رمضان.

كيف كانت خلواتكم؟
كيف كانت عباداتكم؟
كيف كانت ختماتكم؟
كيف كانت تجاربكم؟

هل يوجد شيء جربتموه هذه السنة تظنون أنه أحدث فرقًا في رمضان؟
قد يكون أمرًا طبقته لوحدك، أو مع أسرتك، أو أصحابك، أو رفقاء المسجد.

وسؤال آخر، كيف كانت أعيادكم؟
هل كان العيد مملوءًا بطاعة الله -عز وجل-؟
هل كان مليئًا بالفرح و السرور؟ هل كان في رضا الله -عز وجل- و لم يكن في معصية؟ -سواء في موسيقى أو في لباس أو في غيره-، ما الشيء الذي فرق معكم ؟

و كان لدي تساؤل ثالث، و أعتقد أنه يدور في ذهن الجميع، **كيف قلوبكم بعد أن انتهى ضجيج العيد؟**
و بعد أن رجعنا للحياة بشكل عادي و رجعنا للدوامات والروتين؟ ما الذي خرجنا به من رمضان؟
و ما الذي استمر معنا إلى ما بعد العيد؟

كنت في لقاء مع مجموعة من أخواتي في الله بعد العيد، لقاء نعايد فيه على بعضنا، فكانوا مجموعة من الدمام، و مجموعة من الراكة، و مجموعة من الظهران، و بنات هنا من الخبر، و كان نقاشنا على هذه الثلاثة محاور:
كيف كان رمضانكم؟
ماذا فعلتم في العيد؟

ماذا عن ما بعد العيد و كيف هي القلوب؟

الحقيقة أنّي سمعت منهم أشياء جميلة عن ما يحصل في مختلف المساجد، سأعطيكم نماذج و أكيد أنكم رأيتموها في مصليات العيد.

القصة الأولى:

إحداهن كانت تقول: مسجدنا لم يكن يخلو من الناس بين التراويح و القيام، لم يكن أحد يخرج أصلًا، في العادة الناس تذهب بعد التراويح وتعود قبل القيام، إن كانوا سيعودون، و بالعادة يعود عدد أقل للقيام، و كانت تقول المسجد ممتلئ ومزدحم، في التراويح فيه ثلاث قاعات كلها مملوءة من مختلف الأعمار، نساء كبار، بنات جامعة شابّات، وأيضًا بنات ثانوي و أقل، الثلاث قاعات مملوءة تمامًا و ولا أحد يخرج، فتقول يتحسر الإنسان على نفسه أن يخرج وكل هؤلاء الناس يفوزون بالأجر من دونه!

القصة الثانية:

وأخرى حدثتني عن مُدرسة قرآن، ومعها أربع من البنات من بنات الجامعة كأنهم تصاحبوا، طوال الوقت طوال العشر وهم يُحيون الليل في مدارسة القرآن، فهي تسمّع لهم و هم يسمّعون لها، فتخيلوا ٦ ساعات متواصلة ما بين الصلوات، يصلّون مع الإمام مباشرة أول ما يسلّم يبدؤون في ختماتهم، و هذه مدارسة جبريل -عليه السلام- مع النبي -عليه الصلاة والسلام- فكانوا يتدارسون القرآن، فتقول نعرفهم هؤلاء الأربعة في مكان معيّن، بمجرد ما تنتهي الصلاة يبدؤون في تدارس القرآن.

القصة الثالثة:

وإحداهن كانت تقول أنها لم تكُن تستطيع الذهاب للصلاة لفترة من الزمن لأن أولادها صغار، فتقول أول ما ذهبت تفاجأت أن المسجد كأنّه أجواء الحرم، ممتلئ والناس تصلي في الساحات والحدائق، هذا المسجد في الدمام، تقول حتى كمية الناس لم تكن هكذا قبل سنتين أو ثلاثة!

ومن أجمل الأشياء أيضًا، واحدة أسأل الله أن يثبت قلبها، كانت تقول أنا في أشياء كثيرة خلال الفترة الماضية تغيرت فيني، لكن من أهم الأشياء التي حصلت لي في رمضان أني **قررت أن ألبس النقاب**، و هي أخت من الخليج ليست سعودية، فتقول أخذت هذا القرار في رمضان، ومشاعري مشاعر مسلم جديد، و ما كنت متخيلة أن مثل هذا القرار ممكن يغيّر فيَّ، تقول أنا كنت مترددة سنين عديدة، وعندما ارتديته وجاءتني هذه القوة، طوال الوقت دموع الفرح في عيني، وعندي إحساس بالفخر، و تقول أي أحد يسألني تقول لا أملك نفسي، كأنهم يقولون كيف أسلمتِ، وكتبت في رسالتها في الأخير أنها نادمة جدًا على تأخرها في اتخاذ القرار، تقول عمري ٢١ سنة ونادمة على كل سنة من حياتي كنت متأخرة في القرار! واحد وعشرين سنة ممكن نراه سن مُبكّر، لكن من الشباب الذين يظلهم الله في ظلّه يوم لا ظل إلاّ ظله يوم القيامة شاب نشأ في طاعة الله -عز وجل-، فكلما أخذنا

قرارات مُبكّرة زادت فرصة أن نكون من السبعة الذين يظلهّم الله يوم لا ظل إلا ظله، فأسأل الله أن يبيّض وجهها ووجهونا يوم تسود وجوه، وأسأل الله أن يثبت قلبها و قلب كل من أخذ قرارًا بالتغيير، فهذه ثلاثة أسئلة أو ثلاثة محاور جميل أن يسألها الإنسان نفسه، و ويسألها من معه من أولاد أو أصحاب وغيرها.

القصة الرابعة:

وكذلك أخرى كانت تقول: نحن لدينا مجموعة قراءة كل أسبوعين نجتمع على قراءة كتاب، وهذه المرة في رمضان قررنا أن نحول برنامجنا لاعتكاف مع المصحف، وكنا نساعد بعضنا ونتعاون، فتقول: لا تسأليني عن كمية الشعور وكمية الترابط التي أصبحت بيننا فقط لأن الصحبة تغيرت من مكان إلى مكان، **وعندما يسمع الإنسان عن تجارب الآخرين وأعمالهم الصالحة يشعر بتقصيره، وأنه مُفرّط، وأنك إن كنت سعيداً بأمرين فعلتهم أو ثلاثة فالناس فازوا ونافسوا على مقامات أكبر،** أسأل الله أن لا يُضيّع لعاملٍ عمله، و أن لا يخيّب لإنسان دعوته و أن لا يرد لإنسان رجاء.

دعونا الآن نبدأ في موضوعنا اليوم، ومن أهم الأمور التي ذكرناها قبل قليل هو بماذا خرجنا من رمضان واصطحبناه معنا؟ فهناك عبادات و نوع من الاجتهادات نجتهدها في رمضان وتنتهي متى ما انتهى الموسم، لكن هناك أشياء تبقى داخل القلب، دروس حياتية الإنسان يأخذها معه وتصبح لا شعوريًا جزءًا من إعداداته، يتغيّر من داخله، يمكن لو سألك أحدهم سؤالاً مُباشراً: ماذا فعلت بعد رمضان؟ قد تقول لا أدري لا أشعر بأي تغيير، لكن قد يكون هناك شيء ما في إعداداتك تغير من الداخل، و وتشعر أن العلاقة بينك و بين الله -عز وجل- تغيرت.

أحد هذه الأمور التي لا أشُك أنها مرّت عليكم في رمضان أنك وأنتَ تدعو الله -عز وجل- كنتَ تسأله باسمه الوهّاب، فكنتَ تقول يا ربّ هب لي، وهناك إحساس معين تشعر به في وسط الدعاء أن يا ربِّ أنا لا أستحق و أنا لستُ أهل، لكن يا ربِّ أنت الوهّاب، و أنت الذي تُعطي، هذا الشعور غير مقرون بالدعاء فقط، هو شعور من معرفة الخالق بأن خزائن السماوات والأرض كلها عنده، وأن الله قد يهب لك ما تُريد و أنتَ لا تستحق أصلًا و لم تقُم بأي سبب و لا بذل، وأنتَ شخصيًا تقيِّم نفسك أنك لا تستحق، لكن مجرد معرفتك بأن الله -عز وجل- هو الوهّاب وهو العظيم إذًا لا شيء يُعجزه، دعونا خلال الفترة القادمة، في الشهرين القادمين نتفيأ ظلال هذا الاسم، اسم الله:

" الوهّاب"

دعونا نرى ماذا يمكن أن يتغيّر في حياتنا من خلال هذا الاسم، وما علاقته بالهِبات التي حصلت في رمضان، و وما علاقته بالرجاء وأن نتغيّر في الفترة القادمة من عمرنا،

السلف -رضي الله عنهم-كانوا يجتهدون في رمضان في العمل، فإذا انتهى العمل و رمضان، بدؤوا في سؤال الله -عز وجل- أن يقبل منهم أعمالهم، وهذا نوع من الرجاء، فأنتَ ممكن الآن في ليلة من لياليك أثناء قيامك الليل و في دعواتك و أنت تفطر أو تتسحر قد يكون من ضمن دعواتك أن يأتيك هذا الهاجس أن يا رب إن لم تكن قد أعتقتني، إن لم تكن قبلتني في رمضان فيا رب أعتقني الآن، و يا رب تقبلني الآن، و يا رب تقبّل منّي

بضاعةً مُزجاة، بضاعتنا عملنا مخلوط من أوله إلى آخره و قد لا تصح لك فيه نيّة، لكن عندما تسأل الله أن يا رب تقبّل جهد المُقِل و جهد الضعيف و جهد المخلّط - إن كانت أعماله مُختلطة-، فيا رب إن لم تكن تقبل إلّا من مُحسن فلمن يلوذ العاصي؟ من لنا؟ من يقبل أعمالنا المشققة و المرقعة، التي يخجل المرء أن يهديها لأحد فضلًا من أن يتعبّد فيها ربّه، فعندما يأتي مثل هذا الهاجس و تشعر أن يا ربّ تقبلني الآن، أعتقني الآن، فتخيلوا لو أنه لم يكن لنا درب لدعاء الله إلا في رمضان؟ وبمجرد ما قيل أن العيد غدًا أُغلقت أبواب الدعاء؟ و مالنا درب للدعاء إلاّ رمضان المُقبل؟ هل تخيلتم الحسرة؟!

لو قالوا لك غدًا العيد، هل تخيلتم كمية الحزن والبكاء أن لا زالت عندي دعوات أنا لم أنتهِ! لكن من كرم الله أنه لا يزول ولا يحول، فهو الباقي، فإن انتهى رمضان فإن الله -عز وجل- باقٍ لا يزول، الله -عز وجل- في كل ليلة في الثلث الآخر يقول هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من داعٍ فأستجيب له؟ فالله -عز وجل- خزائنه مملوءة، فتعالوا عند اسم الله -عز وجل- الوهاب، ودعونا نرى كيف ممكن أن تتغير حياتنا معه.

ماذا يعني اسم الله تعالى الوهاب؟ وما الفرق بين الهبة والهدية؟

الإنسان عادةً يهدي، أنت تهدي إنسانًا تحبه رجاء أن يدوم الحب والوصل بينكم، وقد تعطي هدية لشخص في مناسبة معينة وأنت تتوقع أنه سيهديك أيضًا في مناسبة أخرى، فغالبًا الإهداءات عبارة عن مجاملات، وغالبًا فيها أخذ ورد،

إذن ما فرقها عن الهبة ؟ الهبة هي العطاء بلا عوض ولا غرض، فأنت لم تفعل شيئاً لتستحق هذه الهدية، أنت لم تعمل في وظيفة ثم أتاك مرتبك، بل فجأةً وجدت ظرفاً أو (شيك) أمامك، هذا هو العطاء حينما يكون بلا غرض ولا عوض، فتأتي الهبة من الله الغني وأنت إنسان فقير لا يحتاجك أصلًا، فالله -عز وجل- وهب لك هذه الهبة وأنت لست أهلًا ولا تستحق، ويمكن حتى لم تدعُ بها،

فلو تفكرت قليلًا في حياتك سترى أن الله كتب لك أمورًا لم تطلبها ولكنك سعيد جدًا بها، أمور لم يخطر ببالك حتى أن تدعو بها لكن الله يسرها لك، هذه الهبات من عند الوهاب هي التي تفرق بين كلمة الرزاق والعطاء العادي وبين الوهاب، والله -عز وجل- حينما يعطي، يعطي في كل مرة، ويحب أن تستوهبه أنت فتسأله، لأن الملوك عندما نطلب منهم مرة وثانية وثالثة يسأمون، ولكن الله من آداب الدعاء معه أن تسأله بما وهبك في السابقات، وأنك تقول يا رب أنا دعوتك في اليوم الفلاني ففرجت علي، ويا رب دعوتك في اليوم الفلاني فلم تخيب رجائي وهذا الذي دعا به زكريا فقال :

في قوله تعالى:" وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا " [مريم:4]

فحتى الهبات السابقة التي أعطاك إياها الله -عز وجل- أنت تدعو بها من أجل الهبات التي تريدها، فأنت تدعو يا رب أنت أعطيتني وأعطيتني فيا رب لا توقفني عما أنا عليه، وهذا الكلام عندما يقال لكريم

فالكريم لا يحب أن يقطع كرمه، فكيف بالله -عز وجل- وهو أكرم الأكرمين؟ وهو أكرم من سُئل وأجود من أعطى، فهذه الهبات هي التي تفرق بين عطاء وعطاء آخر هذه الهبة مقرونة بالرحمة.

قال تعالى:" وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ" [آل عمران:8]

لماذا مقرونة بالرحمة؟ لأنك عندما ترجع لنفسك ولحياتك وتضعها بميزان، ما هي العبادات التي عملتها لله -عز وجل- وفي الكفة الثانية ما هي الأشياء التي أنعم الله -عز وجل- بها عليك، فسترى أنه لا يوجد مقابل إطلاقًا!

لو قلنا أن شخصًا سيعطيك ٤ ملايين مقابل أن يأخذ قلبك وتعيش بقلب صناعي، من سيرضى؟ يعني عمليات الكلى لأن الإنسان يملك كلية ثانية، لكن عندما تملك شيئًا واحدًا فقط، جارحة واحدة من جوارحك، من يستطيع أن يفعل ذلك؟ لو فكرنا بمقدار كمي، فلا يوجد شيء أصلًا يأتي لنعم الله -عز وجل- ولا يمكن أن تقدر، فعندما نقول:

قال تعالى:" وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ" [آل عمران:8]

هذه الآية في نص دعوة جاءت في البداية وهي، قال تعالى :" رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ" [آل عمران :8]

وهذه واحدة من ثلاثة مواضع جاء فيها اسم الله الوهاب في القرآن، لاحظوا الدعوة "ربنا لا تزغ قلوبنا" يعني هو خائف، يا رب أنا خائف أن يزيغ قلبي فيا رب لا تزغ قلوبنا بعد إذا هديتنا، بعد أن ذقنا الإيمان يا رب لا ترجعنا للشيء الذي كنا فيها، ولأنه يعلم أنه لا يوجد شيء أنت تستحقه ويكون عندك الأهلية له، فيقول "هب لنا من لدنك رحمة" فارحمني يا رب من ألم التوبة ومن مرارة الذنب ومن ترددي وضعفي ومن أي شيء ممكن يأتي فيحول بيني وبينك يا الله، لا يمكن أن ينتشلك من هذا الشيء الذي أنت فيه إلا رحمة من الله -عز وجل- ولذلك يقول الله -عز وجل-:" وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ" [آل عمران :8]

فهذه هبات الله -عز وجل- حينما تكون من غير عوض ولا عرض، ولذلك من الذي دعا الله -عز وجل- فلم يُستجب له؟ ومن الذي وقف ببابه فلم يُفتح له؟ لو قلت لي الآن هناك دعوتين دعوت بهما طوال شهر رمضان ولم أرَ شيئًا حتى الآن، يعني إن شاء الله الله كريم لكن أنا لم أرَ شيئًا، يجب أن تعرف أنك لم ترَ بعينك، لكن نحن نؤمن يقيناً أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو، لَيْسَ بِإِثْمٍ وَلَا بِقَطِيعَةِ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا". [أخرجه البخاري في الأدب المفرد وقال الألباني صحيح].

نحن لدينا بعض الأنانية، أنا أريد هذا الشيء جميع الناس يمتلكونه إلا أنا، لماذا أنا ماذا بي كي لا أحصل عليه؟ لماذا ربي لا يريد أن يرزقني بهذا المال أو هذا الجاه أو أيًا كان؟

لاحظ الآن وتخيل هذا الموقف يوم القيامة، أنت وأصحابك أذنبتم في العيد أو فعلتم شيئًا من الحرام أيًا كان، وجاء يوم القيامة يوم الحساب، يوم يجازى كل إنسان بما عمل وزنت الأعمال سيئات بحسنات، ورأيت أصحابك الذين فعلوا الحرام في تلك الليلة سلسلوا، وأنت تنتظر أن تذهب مع المجموعة لأنك كنت معهم، ما الذي حصل ولماذا لم تُعذّب في النار جراء ذنب معين؟ لماذا نجوت؟ دعوة من الدعوات كانت في خاطرك وكنتَ تدعو الله -عز وجل- ليل نهار ويمكن هم لم يكونوا يدعون وأتتهم على طبق من فضة، أنت لم تأتِك وكنت تدعو الله -عز وجل- أن يا رب ارزقني هذه الدعوات ولم يرزقك الله -عز وجل- بها في الدنيا لأنها ربما لم تكن شيئًا مهماً، ربما لو رزقك الله إياها لطغيت وتكبرت، فالإنسان يطغى ويتكبر، وربما انحرفت حياتك كلها، فالله – عز وجل – ادّخرها لك يوم القيامة فكفّرت عنك من السيئات أضعاف مضاعفة،

فتخيل سيئة اجتمعتم عليها وهم ذهبوا ونجوت أنتَ بتلك الدعوة، عندما يحصل مثل هذا الموقف سترى نفسك تحاول أن تتذكر دعوات لم تُستَجَب لك وتتمنى لو كانت كثيرة! أمور كنت تظنها ناقصة ولكن الله -عز وجل- أكملها لك في الآخرة، ولا توجد مقارنة بين ثلاثين أربعين سنة ينقص فيها شيء وبين خلود أبدي يوم القيامة! فهنا نقول هذه عطاءات الله -عز وجل-، فمن الذي دعا الله -عز وجل- فلم يستجب له؟ ومن الذي وقف عند باب الله -عز وجل- ولم يفتح له؟ لا يوجد أحد.

قال تعالى:" مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ" [النساء:147]

هو الله -عز وجل- لا يحتاج أن يعذبك وملكه لا يزيد ولا ينقص لا بطاعة طائع ولا معصية عاصٍ، إذًا إذا وقفت عند باب الله -عز وجل- ثم لم يفتح لك يعني هناك مشكلة في الطرق،

أحد الشباب في المنطقة الشرقية لديه وظيفة بسيطة ومتواضعة جدًا، وراتبه قليل، وفوق هذا هو كان من الشباب العاديين جدًا، لديه ذنوب ومعاصٍ، فمرت السنوات وفي يوم من الأيام أحس بأنه يريد أن يعتمر، ذهب بسيارته واعتمر وهو في العمرة يطوف ويسعى ولديه هذا الشعور أنه يجب أن يضع نقطة نهاية لكل السنوات الماضية من الذنوب والسيئات، أنا لا يمكن أن أكمل حياتي وأنا على نفس هذا الوضع، فلاحظوا الآن ما هو همه؟ أنه لا يستطيع أن يكمل حياته بهذه الذنوب والسيئات، فهو يعتمر ويطوف ويسعى طول الوقت يردد هذه الكلمة، يقول كنت أريد أن أضع نقطة وأبدأ حياة جديدة، فيطوف ويسعى وهو يعاهد الله -عز وجل- أن يا رب أنا لن أكون الإنسان السابق ويا رب اجعل عمرتي هذه بداية حياتي الجديدة وبداية توبتي.

انظروا لكرم الوهاب، وهو في المسعى، في نهاية العمرة، التقى بصديق قديم، أهلاً .. أهلاً، وبدأ يسأله كيف حاله وأين يعمل، ألا زلت تعمل في تلك الوظيفة؟ أنت الآن في مكة، لماذا لا تذهب للشركة الفلانية وتسأل عن الشخص الفلاني، وفعلًا في اليوم التالي لبس ثوبه وذهب للشركة في مكة، وبمجرد دخوله على المدير للفرع في مكة يقول احتفى بي المدير وقال أين أنت نحن نبحث عن أمثالك، وكان معجب به بشكل فاجأه، فقال له: الموضوع ليس عندي لكن غدًا بما أنك هنا في مكة تعال للفرع الرئيسي في جدة، وأنا بيتي في جدة -انظروا كيف يسخر الله البشر لكم - وسأدخل معك لمكتب شؤون الموظفين، يقول لم أكن أصدق كيف إنسان يعمل لي كل

هذا وأنا لا أعرفه ولم أره من قبل في حياتي! ذهبت للمقر الرئيسي في جدة وإذا بهذا الإنسان ينتظرني، وأدخلني إلى أن حصلت على الوظيفة بأضعاف الراتب وانفتحت لي الدنيا فيما بعد ذلك، كرم الوهاب لا حد له، هو الآن لم يعمل عملًا صالحًا بعد، ولكنه بدأ بمعاهدة الله - عز وجل - فما يفعل بعذابكم إن شكرتم وآمنتم؟ هي نقطة واحدة فقط وضعها هذا الإنسان كانت هي الفارق البسيط بين أن يتحول إلى إنسان آخر.

وكذلك تقول إحدى الأخوات أنها دائمًا تسمع عن الاستغفار وأنك إذا استغفرت فالله -عز وجل- يحل لك مشاكلك ويفرج لك كروبك، تقول فكانت عندي مشكلة وقلت سأكثر من الاستغفار، ولم أستغفر مئتين أو ثلاثمئة مرة، بل استغفرت الله في ٣ ساعات ووصلت إلى ٨ آلاف مرة، وبالفعل فرج الله -عز وجل- عني همي، تقول فلما رأيت كرم الله -عز وجل- لم أستطِع أن أتوقف، أكملتها إلى ١٠ آلاف، فتخيلوا الآن! هو (إن أتيتني شبراً أتيتك ذراعا)، و (من أتاني يمشي أتيته هرولة)، هي الخطوة الأولى تكون منك،

أنت لا تجرب الله -عز وجل-، هؤلاء أناس لم يجربوا، هذا ذهب ليعتمر لأنه يريد أن يتوب من ذنبه، ولم يكُن في باله راتبه المتواضع ولا حياته، لم تؤرِّقه حالته المادية، ويمكن طول طوافه وسعيه لم يسأل، كان خائفًا فقط أن يموت على ذنوبه فقط لا أكثر ولا أقل، لكن الله عندما يهب ويعطي لا يقف الموضوع على أمر واحد، لم يُصلِح لك قلبك فقط، بل أصلَح لك قلبك وإيمانك، وأصلح لك حياتك وغير كل شيء فيك، **لأن الله إذا أعطى أدهش وهذا عطاء الوهاب.**

ولذلك أحياناً قد تكون نقطة ضعفك هي أعظم نقاط القوة لديك، وعندما نقول نقطة ضعفك قد تقول أنا لست مثل الناس، أنا شخصية مترددة، أنا أصلاً شخصية ضعيفة، هم ما شاء الله يقوون على نفسهم، أنا لا أقوى على نفسي، اسمع لموسى -عليه السلام- حينما قال تعالى:

{ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِى صَدۡرِى (٢٥) وَيَسِّرۡ لِىٓ أَمۡرِى (٢٦) وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةً مِّن لِّسَانِى (٢٧) يَفۡقَهُواْ قَوۡلِى (٢٨) }

[سُورَةُ طه: ٢٥-٢٨]

عندما نسمع لموسى وفرعون دائما نتخيل موسى الشخص القوي الذي ضرب الرجل الثاني، لكن هل تعرفون أن من صفات موسى أنه لم يكُن يتّضِح معه الكلام! أنت عندما تكون في مجلس وأحدهم لا يخرج معه الكلام وحروفه غير مفهومة، تجامله وفي قلبك حزن أنه مسكين لا يستطيع أن يقول حديثًا كاملًا لأن لسانه ألدغ أو فيه نوع من التأتأة، وتجامل فقط كي ينتهي، الآن موسى استهزأ به فرعون عندما قال تعالى:

{ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٌ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ }[سُورَةُ الزُّخۡرُفِ: ٥٢]

هو لا يعرف كيف يتكلم أصلًا ويقول أنه نبي!

فموسى -عليه السلام- يعرف نقطة الضعف هذه عنده، فيقول يا رب احلل عقدة لساني، فلما استوهب الوهاب، الله لم يعطه لسان فقط، لم يحل عقدة لسان موسى ويجعله فصيحًا فقط، بل جعله الله -عز وجل- (كليم الله) ولم يأتِ هذا الوصف لأي أحد من الأنبياء إلا لموسى -عليه السلام-، كليم الله! فيكلمه الله -عز وجل- مباشرة وهو في الأرض، قال تعالى:

{ إِنِّى أَنَا رَبُّكَ فَٱخلَع نَعلَيكَ إِنَّكَ بِٱلوَادِ ٱلمُقَدَّسِ طُوى وَأَنَا ٱختَرتُكَ فَٱستَمِع لِمَا يُوحَىٰ }[سُورَةُ طه: ١٢-١٣]

تخيلوا موسى وهو يسمع كلام الله!

{ وَمَا تِلكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ (١٧) قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخرَىٰ (١٨) }[سُورَةُ طه: ١٧-١٨]

كلام كبير، كان ممكن أن يقول له ما تلك بيمينك؟ عصا، لو سألك أحدهم ما الذي بيدك؟ ممكن تقول هاتف، قلم، لكن كل هذا الكلام الذي أخذه موسى -عليه السلام- في هذا الحوار الذي لا يمكن أن يكون إلا بين الله -عز وجل- وبين نبيه موسى -عليه السلام- في نقطة الضعف التي كانت عنده، فلم يُصلِح الله له حاله فقط، بل أصبح إلى أبد الآبدين كليم الله سبحانه وتعالى،

إذن نقطة الضعف التي عندك لا تعرف عندما تستوهب الوهاب وتسأل الله الوهاب بهباته أن يهب لك هذا الشيء وكيف يمكن لله -عز وجل- أن يغير لك حياتك، لذلك على عتبة الوهاب إن ضاقت بك الدنيا أو أحسست بلحظة أن الفرج لا يمكن أن ينقضي، كيف يمكن أن يهبك الوهاب أفضل مما تتمنى!

معتمر مصري حُكِي عنه أنه كان يطوف ويقول: يا رب ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ضاقت مرة ثانية! فهو يدعي وبالعادة: "ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت، وكنت أظنها لا تفرج"، لكن هو يقول :ضاقت تاني! فأنت تدعو الله بهذه اللحظة وهذا الضيق وتنتظر كرم الله -عز وجل- كيف يحول ذلك الظلام إلى نور، فالله -عز وجل- لا يحب منك أن تسأله وتستوهبه فقط، بل يحب أن تعظم المسألة، كلمة الوهاب: الذي يعطي كثير العطاء كماً وكيفاً، أتعرفون ماذا يعني كماً وكيفا؟ يعني ليس مجرد كَم كأن يعطي مرة أو مرتين أو مليون مرة، لكن حتى الكيف! الأشياء التي تُعطى ليست أشياء عادية، لذلك نبي الله سليمان -عليه السلام- جاءت عنده أعجب دعوة في القرآن وهي التي عنونا فيها لقاء اليوم، قال تعالى :

{ قَالَ رَبِّ ٱغفِر لِى وَهَب لِى مُلكا لَّا يَنبَغِى لِأَحَد مِّن بَعدِىٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلوَهَّابُ }[سُورَةُ صٓ: ٣٥]

هذه الدعوة التي ذُكِرَت في سورة ص، وعندما نقرأ في قصة سليمان -عليه السلام- نرى أن سليمان مر بابتلاءين اثنين، الجسد الذي أُلقي على كرسيه، ثم الخيل التي استعرضت أمامه فألهته عن ذكر الله حتى توارت بالحجاب، إذن هناك شيء من الدنيا وكان يحب الخيل، فعندما كانت الخيول أمامه في عرض انشغل فيهم عن ذكر الله، تخيلوا مثلاً كأن شخص فاتته صلاة العصر لأنه كان مشغول بتربية خيوله أو شيء من الملك الذي عنده، فلما انتبه سليمان -عليه السلام- على نفسه أن الشمس غابت ولم يذكر الله -عز وجل- مباشرةً ذهب مسحًا

بالسوق والأعناق، ذهب يتخلص من هذا الخيل الذي هو حبه وهوايته وإدمانه، والناس التي تربي خيل تعرف كيف ممكن هذا الشيء يكون إدمانًا، فهو ذهب لهذه الخيول الغالية جداً على قلبه فأخذ يتخلص منها، وبعد أن تخلص منها قال، قال تعالى :

{ قَالَ رَبِّ ٱغفِر لِى }[سُورَةُ صٓ: ٣٥]

تخيل أنت الآن فاتتك صلاة العصر أو أي شيء من ذكر الله -عز وجل- وتخلصت من الشيء الذي تحبه، تخيل شخصاً الآن تاب وتخلص من هذا الشيء ثم يأتي فيقول ربِّ اغفر لي، أنا أعتذر عن العمل الذي عملته وأن ألهتني هذه الخيول عن ذكرك،

{ قَالَ رَبِّ ٱغفِر لِى وَهَب لِى}[سُورَةُ صٓ: ٣٥]

اغفر لي فهمناها، وأنت في موقع الإنسان المقصّر المفرّط الذي التهى عن ذكر الله -عز وجل-، الغالب: يا رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين، مغفرة وطلب توبة، لكن قلوب الأنبياء مختلفة، عندما قال رب اغفر، وهو قائم الآن بوضع التوبة وتخلص من الأشياء التي بينه وبين الله -عز وجل- فعلًا وقولًا، فمباشرة تحرك قلبه لعطاءات الوهاب، فقال يا رب

{ وَهَب لِى مُلكا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَد مِّن بَعدِىٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلوَهَّابُ }[سُورَةُ صٓ: ٣٥]

وهذا الموطن الثاني الذي ذُكِر فيه اسم الله الوهاب، فهنا وقف العلماء عند هذه الكلمة وقالوا: كيف مر على سليمان أنه يستسمح الله -عز وجل- ويطلب المغفرة ويطلب في نفس هذا اللحظة أن يا رب هب لي! وقالوا لا يمكن أن تخرج إلا من قلبٍ مملوء بتقوى الله -عز وجل- وخشيته والخوف منه ورجاء كرمه وفضله، والإيمان بأنه هو الوهاب فأنت تخيل أن يطلب من الله المغفرة وأن يهب له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فماذا أعطاه الله -عز وجل-؟

ملايين الدنيا؟ قصور؟ أموال؟ جيوش؟ نحن أقصى شيء في الدنيا وسام الملك عبدالعزيز أو غيره؟ لكن الله -عز وجل- ماذا أعطى سليمان؟ قال تعالى ((فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ)) ص-36-

هل تخيلتم الهواء سُخِّر لسليمان -عليه السلام-؟ ليست طائرات أو دواب، الهواء كله سُخِّر لسليمان -عليه السلام- فكانت الريح تحمله هو وحاشيته وجيشه فيطوفون مشارق الأرض ومغاربها، وأي شيء يريده يشير له، الناس كلها تخاف من مردة الجن والشياطين، هؤلاء سُخِّروا لسليمان -عليه السلام- فكانوا يغوصون في أعماق البحار فيأتون بكل ما يُريد، إذن هذا المُلْك لم يكن لأحد إلا لسليمان -عليه السلام- ثم يذهب نبي الله سليمان ولا يبقى لنا من هذا إلا هذه القصة، ويذهب زكريا -عليه السلام- ولا يبقى لنا منه إلا قصته، ويذهب موسى وحادثة انشقاق البحر وانشقاق القمر للرسول -عليه الصلاة والسلام-، تذهب كل تلك الحوادث التي ذكرها الله -عز وجل- في كتابه، فلم يذكرها الله -عز وجل- لنتسلى بها فقط، وإنما لنتعلم ما هي عطاءات الله -عز وجل-، ليأتي الدور علينا ونحن نقرأ، لكي نستوهب الوهاب الذي وهب لسليمان ووهب لأيوب ووهب لزكريا ووهب لموسى

ووهب لعيسى ووهب لامرأة عمران التي ولدت مريم، الذي وهب لهم هذا الخير كله لن يعجزه أن يهب لك ما تريد، ولذلك استوهب الوهاب وانظر إلى عطاءات الله -عز وجل- كيف تكون، ولذلك حينما قال زكريا في قوله تعالى ((رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ)) آل عمران -38-.

فكرة الذرية الطيبة وردت عند الأنبياء كثيراً ويمكن من أكثر الأنبياء طلبًا للذرية إبراهيم -عليه السلام- قال تعالى ((إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا)) البقرة -124-

مباشرةً إبراهيم -عليه السلام- قال ((... قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ...)) البقرة -124-

ولم تأتِ الذرية لإبراهيم -عليه السلام- إلا على كبر، قال تعالى ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ)) إبراهيم -39-

فرزقه الله بإسماعيل وإسحاق على كبر، انظروا هنا لهبات الله -عز وجل-، إبراهيم خليل الله يدعوه، مع ذلك لم يرزقه الله الذرية من بداية حياته، وما رزقه إلا على الكبر، فبعض العطاءات تتأخر ولكن انظروا كيف عطاءات عن عطاءات تختلف،

فلما جاء عطاء الله -عز وجل- ووهب له إسحاق وإسماعيل طلب إبراهيم -عليه السلام- أن يكونوا ذرية صالحة، ولم يصبحوا ذرية صالحة فقط، وإنما الله -عز وجل- جعل النبوة في هذه الذرية فلم يرزقه ولدين بل رزقه بنبيين، ولم يرزقه الله بنبيين فقط وإنما كل سلالات الأنبياء جاءت من إسحاق -عليه السلام- ونبينا -عليه الصلاة والسلام- الوحيد النبي العدنان الذي جاء من نسل إسماعيل، إذن من إسماعيل ومن إسحاق توالت كل النبوات التي جاءت ولم تبقَ النبوات فقط عند إسحاق و يعقوب وإنما وصلت إلى الحفيد فعندما نقول الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، من نقصد؟ يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم

فهل تتخيلون عطاء الله -عز وجل- لإبراهيم حينما وهبه الولد؟ لم يهبه ولدًا عاديًا وإنما امتد العطاء إلى الحفيد الرابع، أربعة أجيال، فهل تتخيل كيف يمكن أن تدعو دعوة وتموت ثم تأتي بعد خمسين سنة، أنتَ تحولتَ إلى رماد في قبرك ثم يكون من سلالتك نبي من الأنبياء، هل تتخيلون يا جماعة؟

ولذلك كان السلف يدعون بالذرية الصالحة لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال : " إِذَا مَاتَ ابنُ آدم انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ " وأحد هذه الثلاث هو الولد الصالح "وَلَدٍ صَالِحٍ " فينقطع العمل، وتقف عند آخر صفحة من صفحات كتابك، فتبقى صفحة مفتوحة وهي أي ولد صالح أنتَ ربيتَه فيبقى يدعو لك بعد وفاتك، فأي عمل وأي سورة فاتحة وأي صلاة يصليها وأي تهليله يهللها تبقى لك في أجرك إلى يوم القيامة، فمن يُعلّم أبناءه فيعملون بعده يستمر له الأجر إلى سابع جد على حسب ما توارثوه من العلم ومن الدين، فما كان هذا الأمر أمرًا بسيطًا،

ولذلك الأنبياء كانوا يدعون به وهذا من عطاءات الله -عز وجل- ولذلك الله -عز وجل- ملأ حياتنا بالاحتياجات ثم قال:

إني أنا الوهاب فلا يحول بينك وبين تلبية هذا الاحتياج إلا أن تسأل الله -عز وجل- الوهاب فيعطيك إياها، وأحد هذه الدعوات في قول الله -عز وجل- الذي علمنا هذه الدعوة في سورة الفرقان لعباد الرحمن فقالوا ((رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا)) -74-

عبارة "هب لنا" أينما تأتي في القرآن غالبًا ما تكون عن الذرية، جرب الآن وافتح تطبيق القرآن وابحث عن كلمة "هب لنا"، كلها جاءت في الذرية.

إذن هذه الدعوة "ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين "فيها ستة فوائد.

وهذه الدعوة مهمة جدًا لمن تزوج ولمن لم يتزوج بعد، فقد تجد زوج/ة بجميع المواصفات التي تتمناها، صلاح وبر بالوالدين ومحافظة على الصلوات وخُلُق كريم، ولكن قد لا تتوافقان! رغم كونكما صالحين إلا أنكما قد لا تتصافان ولا تتوافقان، ففكرة أن يكون الزوج والزوجة قرة عين هذه هبة من الله -عز وجل- لا بد أن يسألها الإنسان،

أحد الشباب كان إنسانًا عاديًا جدًا من النوع الذي يلتزم قليلًا ثم يفك، يلتزم ثم يفك، فكلما ذهب لأصحاب أصبح يعمل مثلهم، وطوال الوقت حياته مترددة يمين و يسار، فجأة أتى أصحابه فرأوه قد تغير حاله تمامًا، فقالوا له كيف تحولت؟ هل هذه موجة دين مؤقتة؟ فقال لا أنا تغيرت تمامًا ولله الحمد، الحمد لله تزوجت معلمة قرآن فكان مهرها القرآن، وقالت لي لن أوافق عليك حتى تحفظ هذا الجزء من القرآن فحفظته، وهو يتحدث ويقول أنا لا أعرف كيف وهبني ربي إياها، هو مستكثر عطاءات الوهاب على نفسه، يقول أنا لا أستحقها، أصحابه يقولون أنه إنسان خيِّر أصلًا في داخله، لكنه كان من الأشخاص المترددين،

إذن فكرة أن الله يرزقك الزوج الصالح أو الزوجة الصالحة فهذا من العطاءات التي تستوهب، وهذه هبة من الله -عز وجل- ولذلك الصالحين لم يقولوا ربنا هب لنا امرأة صالحة أو رجلاً صالحًا، بل قالوا زوج وكلمة زوج تعني المواءمة والموافقة، أن تكونوا توأم روح وهذا الشيء ليس سهلًا، فأنت لا تأخذ كتالوج وترى صفات الشخص الذي ستتزوجه هل توافق صفاتك أم لا، بل هذه هبة من الله -عز وجل- ولذلك قد تسألون كثيرًا عن الزوج أو الزوجة قبل عقد الزواج وقد تكون فترة الملكة طويلة ولكن بعد الزواج قد يظهر عدم توافق، لماذا؟ لأن التوافق هبة من الله -عز وجل-.

طيب النقطة الثالثة في هذا الدعاء : "هب لنا من أزواجنا وذرياتنا" تكلمنا قبل قليل عن الذرية، وهذه دعوة الأنبياء "أصلح لي في ذريتي"، " هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة عين" ونرى هنا كلمة قرة عين، القر من الاستقرار، ومؤخرًا أصبحت أسمع عن اضطراب يحدث للمتزوجين حديثًا، اسمه اضطراب السنة السابعة أو اضطراب السنة العاشرة بعد ولادة الطفل الأول والثاني تذهب موجة العرس ثم يبدأ الاضطراب، أين ذهب عمري؟ ربما لو لم أستعجل لوجدت زوجًا أفضل، وهذا اضطراب معروف في علم النفس،

تخيل الآن أن يجعل الله -عز وجل- في عينك هذا الاستقرار، هنا قرة عين، فزوجك لا يرى سواكِ، وزوجتك لا ترى سواك، تعرفون كيف تنظر الأم للمسرح الممتلئ ولا ترى سوى ولدها؟ لا ترى غيره وإن كان أجمل خلق الله بجانبه، أو إن كان بجانبه أمير أو غيره، فهي لا ترى سوى ولدها.

ونرى هذا أحيانًا في عيون بعض الأشخاص، نرى عيونهم متعلقة ببعضهم، كل واحدٍ منهما يتطلّع للآخر فقط وكأنه لا يوجد امرأة غيرها في هذا العالم، ولا رجل غيره، هذا قرة العين، العين المستقرة، ولكن لماذا هذا الأمر مهم؟ قرة العين؟ لأنه حينما يقول الله -عز وجل- في نهاية الآية: (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) سورة الفرقان آية 74 (

لم يقُل واجعلنا من المتقين، كان يكفي بما أنهم الآن أسرة تتكون من زوج و زوجة وأبناء، أن يكون أقصى أحلامهم أن يا رب نكون من الصالحين ونكون من المتقين، لكن لم تكُن هذه أحلامهم، قالوا واجعلنا للمتقين إماما! نريد أن نكون النموذج الذي يُحتذى به، نريد أن نأخذ أجر كل الناس، أجر كل الذين في العمارة وأجر كل الذين في الحي، لماذا؟ لأن جزءًا من استقرارك الأسري هو سبب في استقرارك الإيماني فأنت تستقر إيمانيا عندما تكون أسرتك فيها جزء من هذا الاستقرار، وهذا جزء من وقفات عندما نستمع لشرح سورة آل عمران في غزوة أحد، لماذا قال الله -عز وجل-: سورة آل عمران آية 121 (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ)

لماذا من أهلك؟ من بيتك؟ وقف العلماء هنا في التفسير، ما هي المعلومة المهمة؟ أكيد النبي -عليه الصلاة والسلام- خارج من بيته، لكن كانوا يقولون في خضم معركة وسير أحد التي كان فيها هزيمة و مقتلة ومات فيها سبعون من الصحابة تبتدئ فيها كله :سورة آل عمران آية 121 (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ)

فكانوا يقولون القيادة تبدأ من البيت أولًا ثم تتحول بعد ذلك إلى استقرارك الإيماني وإلى آخره،

إذن عندما نتكلم عن هذا الشيء، تخيلوا الآن وهذه كانت الوقفة السادسة أن تكون للمتقين إماما، تخيل أحلامك عندما تكون تتمنى مواصفات معينة في زوجتك أو زوجك ثم تتغير هذه الأحلام وتتمنى أن تكونا للمتقين إماما، هدف الزواج مختلف، الهدف من الذرية مختلف تمامًا، لم تعُد القضية مجرد إنجاب وتفكير في لباسهم ودراستهم بل أصبحت قضية ذرية صالحة تستكثر بها أمة محمد، أن يكونوا من الصالحين الذين يبقون لك بعد مماتك، ولذلك بماذا أجابهم الله -عز وجل- في الآية التي بعدها مباشرة؟ ولاحظوا الآن بعض الناس قد لا يهمهم موضوع الزواج و والأسرة والأبناء لكن انظروا هؤلاء ماذا قال الله -عز وجل- عنهم، وهذا في نص صفات عباد الرحمن، قال الله -عز وجل- في نهايتها : (أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا) سورة الفرقان آية 72

يعني أولئك الذين يدعون بهذه الدعوة ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما، تخيلوا هؤلاء يدخلون الجنة وتُضرب لهم تحية طوال الوقت، يلقون فيها تحية وسلاما، ودخلوا هذه الجنة بفضل الله -عز وجل-، ويقول الله عز وجل عنهم:(بِمَا صَبَرُوا) سورة الفرقان آية 72

أي: بما فعلوا في دنياهم، هذه كلها من عطاءات الله -عز وجل- الوهاب، وأختم بنقطتين :

النقطة الأولى: حتى لا تفقد هذه الهبات من الله -عز وجل-، قد تكون بعض هذه الهبات وُهِبتها في رمضان وتلمستها الآن، فلابد أولًا أن تشكر الله -عز وجل- على هذه الهبات كي تحافظ عليها، والشكر له خمسة قواعد:

1- خضوع الشاكر للمشكور

2- حبه له

3- ثناءه عليه

4- اعترافه بهذه النعمة

5- ألا يستعملها في ما يكره،

أولًا – خضوع الشاكر للمشكور، فعندما تشكر الله -عز وجل-، لابد أن يكون فيك شيء خاضع لله -عز وجل-، أن يا ربِّ شكرًا فلولا قدرتك ولولا عطاؤك لما حصلت على هذه النعمة، وقد تكون هذه النعمة زادًا من الخير تزودته في رمضان مثلًا، أن الله منَّ عليك بأن لا تفوت صلاة، أو أن تعتكف لمدة أطول، فكل هذه النعم والهبات تُوجِب خضوع الشاكر للمشكور وحبه له، أن تحب الله -عز وجل- على هذه النعم التي أنعمها وتعترف بهذه النعم وتثني عليه وآخر وأهم قاعدة هي ألا تستعملها في ما يكره.

الله -عز وجل- أعطاك هذه الهبة أو هذه النعمة فلا تستعملها فيما يكره، فمثلًا هناك أناس أنعم الله -عز وجل- عليهم بنوع من القوة، فلم يشاهدوا أي مسلسل أو فلم خلال رمضان وانشغلوا عن التلفزيون بختماتهم وعباداتهم، ومن ثاني أيام العيد بدؤوا بتحميل جميع المسلسلات و ومشاهدتها، طيب لماذا؟ انتهى رمضان والآن هذا وقت آخر؟

الآن أنعم الله -عز وجل- عليك، كنتَ بحالٍ قبل رمضان وأصبحت في رمضان بحالٍ آخر، هدوؤك، طمأنينتك، وأشواقك لله -عز وجل- تغيرت، وكلنا نلاحظ أننا نتغير بعد العيد، وقد لا نرجع تمامًا كما كنا في رمضان ولكن على الأقل الشيء الحرام الذي تركته، حاول ألا تعود له، فقد يعتاد المرء على مشاهدة المسلسلات وقد تكون هي زوجته في المسلسل ولكنها في الحقيقة ليست زوجته، قد نعتاد على هذه المشاهد ولكنها حرام، هذا يمسكها وهي ليست زوجته، وهذا يحضن، كل هذا لا يجوز، بغض النظر عن هدف القصة أو غيرها، وفضلًا عن الأمور الأخرى من عورات وموسيقى وغيرها، إذًا نحن نتكلم هنا أن هذا الشيء من الحرام فأنت لا تستعمل الهبة التي أعطاك إياها الله -عز وجل- في شيء من الحرام.

٢- النقطة الثانية: حافظ على هباتك من الفقد، لا تفقدها، انظروا من دعاء النبي -عليه الصلاة والسلام- في السفر: يقول عبدالله بن سرجس: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَافَرَ يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ..." [أخرجه مسلم في صحيحه]

كان عليه الصلاة والسلام يتعوذ من الحور بعد الكور، فما هو الحور وما هو الكور؟ الحور: النقص، والكور: الزيادة، فهو يقول يا ربِّ لا تنقصني بعدما زدتني، وهذه من معانيها وبعضهم قال يتعوذ من الانحراف بعد الهداية، لكن هذا التعوذ من أن تنقص بعد الزيادة بعد أن كنتَ تستكثر من أمور حسنة، فلا تبدأ تنقص،

ولذلك هذا من الأمور التي يستعيذ بها الإنسان ولذلك كان من دعاء النبي عليه الصلاة و السلام : «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، ...» [أخرجه مسلم في صحيحه]

طيب هل توجد أشياء ممكن أن يفعلها الإنسان فتزول عنه الهبات؟ نعم، ومن أكبر هذه الأشياء أن يكون يتقلب في نعيم لسنين وفجأة يتزلزل كيانه، يحدث أمر يخرب سكونه وعائلته، فيتفاجأ الإنسان من أين جاء هذا الأمر! يقول الله -عز وجل-: (فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ) سورة المائدة آية 49

و يقول في آية أخرى: (أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ) سورة الأعراف آية 100

فلاحظوا الآن يقول ابن القيم: **من عقوبات الذنوب أنها تزيل النعم وتحيل النقم، فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلت به نقمة إلا بذنب**، وعلي بن أبي طالب يعطينا العلاج فيقول: ما نزل بلاء إلا بذنب وما ارتفع إلا بتوبة يقول الله عز وجل :(وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (30))سورة الشورى

إذًا عندما ترى تغيّرًا في أمورك فتذكر، قال تعالى: (...إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ...) الرعد -11-، فإذا أنت غيرت طاعة إلى معصية أو أصبح عندك شيء من التقصير أو التفريط، فاعلم أنك إذا تغيرت تتغير نعم الله -عز وجل- عليك، فالله لا يغير شيئاً وهذا وعد من الله -عز وجل- أنه لا يغير على إنسان حتى يغير ما بنفسه، **وهنا بشارة ونذارة، فمعناه لو تغيرت للأحسن فالله سيغير عليك، وإذا تغيرت للأسوأ وبدلت الطاعة بمعصية، ستتغير نعم الله -عز وجل- عليك.**

إذن ليس أمر سهلاً أن الإنسان يأخذ قرار أنه يرجع إلى الذنوب أو أنه يستمر في حياته مع ذنوب، لأن الهبات، ونحن لا نتكلم عن الهبات على أنها راتب أو أنها وظيفة فهذه أبسط الهبات، فقد كانوا يقولون أن أقل نعم الله -عز وجل- هي المال، ونحن الآن نرى أن أكبر النعم في الدنيا هي المال، ولكن أكبر النعم هي أن يهبك الله الحياة ،ويهبك العافية، ويهبك الصحة، ويهبك العقل، فالله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن يحب، فعندما نتحدث عن هبات الله التي قد تضيعها بسبب ذنب أو من أجل معصية، فلا يخطر ببالك أنها فقط هبات دنيوية فتقول أنا لا أحتاجها، لا، قد تكون هبات أخروية من الأمور التي لم نسأل عنها،

ومن أسماء الله الوهاب أنه يعطي ما بالخواطر، فقد يكون هناك أمر بخاطرك ولم تدعُ به، لكن الله -عز وجل- وهبك إياه، لو فكرت قليلًا في سلسلة حياتك ستجد أشياء كثيرة ولحظات مفاجئة كانت في خاطرك لكن قد تكون استحيت حتى أن تدعو الله -عز وجل- بها، أو شعرت أنك لا تستحق أن تدعو الله -عز وجل- بها، ولكنها كانت في خاطرك، وكنت تريدها، وفجأة تستيقظ في يوم وتجد هذا الشيء،

ولذلك كانوا يقولون الله -عز وجل- يعطي النوال بلا سؤال، يعطيك الذي تريد من غير حتى أن تسأل، لأن الله يعلم ما بالسر و أخفى، هو يعرف ولذلك من الأدعية أن يقول الإنسان: اللهم ما سألنا فأعطنا وما لم نسألك فابتدئنا.

فيا رب أعطِنا الذي سألناك ويا رب أعطِنا ما لم نسألك، يعني ما لم يخطر ببالنا،

الآن عندما أقول هبات أخروية، ما الذي يخطر ببالك؟ الجنة؟ قد لا يخطر ببالك شيء من الهبات التي تكون من اللحظة التي تقبض فيها روحك في قبرك، فنحن لا نعرف ماذا يمكن أن يحدث في القبر، نعرف منكر ونكير والثلاث أسئلة، لكن لا نعرف مئة ألف سنة تحت الأرض ماذا سيحدث بها، ولم يخرج أحد من الموتى فيخبرنا، فهبات الله الأخروية نحن لا نعرف بماذا ندعو، ولكن يجب ألا نجعل هناك شيء يحول بيننا وبين هذه الهبات، فكلما استطعت أن تقلل من الذنوب والمعاصي فقلل،

والأمر الثاني هو أن لو سلبك الله هبة، كان عندك شيء من النعمة لسنين وفجأة هذه النعمة ذهبت، فهنا الله -عز وجل- يختبر صبرك و إيمانك، فالدنيا لا تدوم، عندما نقول هبات والله فتح عليه والله رزقه عمر، فالحياة لا تمشي على خط وردي طول الوقت، لابد من المنحنيات أنك ترتفع فوق ثم تنزل تحت، والدنيا تأخذك يميناً ويساراً، قال تعالى:

(لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ (2))سورة الملك

فإذا سلبك الله هبة أعطاك إياها، ماذا تفعل؟ ما دورك هنا؟

استغفر من ذنبك، وتُب توبة نصوحًا، واصبر وقل أنا لله، أنا كلي لله، فهذا الحبيب الذي ذهب مني لله، إنا لله وإنا إليه راجعون، ولهذا نقول هذا الدعاء للتعزية عندما يموت إنسان : لله ما أخذ ولله ما أعطى وكل عنده بأجل مسمى، فهذا أول شيء نُصبِّر فيه بعضنا عندما يموت للإنسان حبيب أو شخصٌ غالٍ عليه، مباشرة نقول هذه الكلمة "لله ما أخذ ولله ما أعطى" هو الله الذي أعطى وهو الذي أخذ وكل شخص مكتوب أجله في يوم مسمى، وهذه عطاءات الله -عز وجل- التي ليس لها حد، وقد تكون عطاءاته وهباته في لحظة المصيبة فوق ما نتخيل، ولذلك الخضر يقول لموسى عن الغلام كان أبوه صالحًا

(فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (80))سورة الكهف.

فتخيلوا الآن اللحظة، هي لحظة ألم، مات ولدهم وعمره تسع أو عشر سنوات، ألم شديد، لكن الله يعلم أن هذا الولد لو كبر سيكون عذابًا على والديه، ولذلك أخذه رحمة بالولد ورحمة بوالديه، وأردنا أن يبدلهما ربهما خيرًا منه، ولا زال هناك عطاءات قادمة، فهبات الله -عز وجل- لم تتوقف،

ولذلك يجب ألا تستغرقنا لحظة الألم أو لحظة المصيبة طالما أن قلوبنا مستسلمة ومسلمة لله -عز وجل- أنه هو الحكيم وهو الوهاب فهو الذي وهب وكما وهب في المرة الأولى فهو القادر على أن يهب الثانية والثالثة، فالله ليس الواهب يهب مرة وحده فقط، هي ليست فرصة واحدة، لا بل هو الله الوهاب، يعطي المرة الأولى والثانية والثالثة وليس هناك حد لعطائه، ولذلك يقول ابن عاشور في تعليقه على قول سليمان

(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (35)) سورة ص

قال : هو الذي يهب كما وكيفا، ويهب الكبير والكثير والعظيم، كل كلمة أكبر من الثانية، الله يعطي الكبير و يعطي الكثير والعظيم،

ولذلك لو أردت أن تقارن بين المرأة من بني إسرائيل التي سقت كلبا بخفها بمقدار الفنجان من الماء، فماذا وهبها الله -عز وجل-؟ جنة عرضها السموات والأرض، لا مجال للمقارنة، الله وهبها الكثير والكبير والعظيم على شيء من المعروف بذلته، لذلك علمنا النبي عليه الصلاة والسلام

(لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا...) [أخرجه مسلم في صحيحه]

أنت لا تعلم ما هو السهم الذي تضرب به من أعمال الخير فيدخلك الله -عز وجل- به الجنة، و آخر شيء أهل المؤمنين والصالحين جعلوا من صفاتهم أنهم يهبون، وعندما نقول إن الله رحيم يحب الرحماء، كريم يحب الكرماء، هو الله -عز وجل- يحب كل من يتشبه بصفاته، فلذلك عندما يعرف الإنسان أن من صفات الله أنه هو يهب ويعطي فاجعل العطاء هذا من سجية نفسك ومن كرمك أنك تعطي بلا حدود، ولذلك صفات المؤمنين قال الله -عز وجل- عنهم :

(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9))

سورة الإنسان

ويقول النبي عليه الصلاة والسلام

" إن لله تعالى أقواما يختصهم بالنعم لمنافع العباد " [أخرجه الطبراني في معجمه وقال الالباني حسن]

يعني أنت بالذات الله منعم عليك بأشياء كثيرة لأنك تسعى في حاجات الناس، وتفعل أشياء للناس فالله أعطاك هذه الموهبة أو أعطاك هذا المكان أو أعطاك هذا المنصب لأنك أنت تستغله في نفع الناس

"... ويقرها فيهم ما بذلوها فإذا منعوها ..." [أخرجه الطبراني في معجمه وقال الألباني حسن]

فإذا قرر الإنسان يومًا أن يتوقف، كأن يقول لماذا أبذل جهدي ووقتي للناس وأسعى في حوائجهم وهم لا يقدرون ولا يردون لي الجميل، "....فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم "[أخرجه الطبراني في معجمه وقال الألباني حسن]

وما هي أكبر قصة مشهورة في هذا الموضوع؟ قصة أصحاب البستان، الذين كان أبوهم يتصدق من الحديقة فلما جاءهم الإرث البستان، قالوا أبونا كان ساذجاً ونحن الآن سنأخذها ونتاجر بها، وسنكبر أموالنا، فجعلها الله حصيدًا في ليلة وانتهت معها وتبخرت كل أحلامهم، ولذلك جاء في الحديث

"...ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويعزل الشوك عن طريق الناس والعظم والحجر وتهدي الأعمى وتسمع الأصم والأبكم حتى يفقه وتدل المستدل على حاجة له قد علمت مكانها ..." [أخرجه أحمد في مسنده وقال الألباني صحيح]

يعني أحد في البيت قال لك: وين الشيء الفلاني؟ أنت الآن تعرف أين هو ولكنك متكاسل أن تتحرك، وترى السائل تائهاً ومحتاراً، فلو علمت أن هذا من أبواب المعروف التي يحبها الله -عز وجل- أن تدل المستدل على حاجة تعلم مكانها

(...وتسعى بشدة ساقيك إلى اللهفان المستغيث...) [أخرجه أحمد في مسنده وقال الألباني صحيح]

يعني ليس أن تسعى فيه فقط بل أن تسعى بشدة، يعني لا تقوم وأنت متململ وكأنك مغصوب وتقول يلا خلاص بروح، لا بل تسعى بشدة (...وترفع بشدة ذراعيك مع الضعيف...) [أخرجه أحمد في مسنده وقال الألباني صحيح]

يعني أن تساعد وكأن الشغل شغلك وتحمل همه معه "... كل ذلك من أبواب الصدقة منك على نفسك ..." [أخرجه أحمد في مسنده وقال الألباني صحيح]

فلا تحقرن من المعروف شيئا، واختصار هذا الكلام أنه كأنك تسبل نفسك للمعروف، لذلك الذي يعرف الوهاب ويعيش في كنف الوهاب لا يمكن أن يكون إنساناً عادياً، ولا يعيش بين الناس بأنه يكون إنساناً سلبياً أو عادياً، أسأل الله أن يجعلني و إياكم ممن يستمطرون هبات الله -عز وجل- الوهاب وأن يجعلنا من المقبولين المعتوقين.

هذا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها